القصة التي فازت بالجائزة الثانية في مسابقة «الآداب»

سأربح الجائزة!

بقلم إنعام الجندي

صدقني إن قلت ليست في ذهني اية قصة . ولكن هذا الاعلان الغريب المتشبث بالصفحة المفتوحة امامي ، هذا الاعلان عن مسابقة القصة يدفعني لأن اكتب ، لأن افكر ، وربما لأن أهذي ... اريد ان اربح الجائزة باي ثمن ! ولو كان امد اختيار القصة الفائزة بعيداً ، لما جربت ان اكتب ، بل لحلمت بوسيلة اخرى لكسب دريهمات ، فأنا لن استطيع ان انتظر جائعاً مدة طويلة ، او ان أعلل النفس بالشبع هذا المدى الطويل ، فلا بد ان يتغلب الجوع على كل محاولة إلهاء ، وإن يكن جوعاً من نوع جديد ! ...

ليست في ذهني اية قصة . وان تكن حياتي ملأى بالقصص . ان املأ براودني فيسد عليّ معابر الذكرى الى الماضي ، حتى اقرب ماضٍ الى اللحظة التي احيا . ان املأ جديداً يترنح في خيالي فأطرب لسكره ، بل واسكر له ، وأترنح معه ، في ارجوحة يهنأ بها القدر ، قدر المحرومين . هذا الأمل سينفتح احلاماً وقصصاً واساطير ، فلأستسلم له ، لعله يخلق القصة التي ستفوز بالجائزة .

تراني أصر على الفوز بالجائزة ! .. قد تظن اني من المتكالبين على المال ؟ صدقني ان قلت اني اكره المال ، هذا الذي يتخم الخزائن والجيوب ، ولا يتسرب إلي إلا خلسة ، وكأنما هو خجل من كفي ، من جيبي ، من اللحظات القليلة التي يحياها معي قلقاً ملولاً ، من المشاريع الكبرى التي تنتظره على قلته ، فيسد ثغيرات ، لتفغر اشداقها ثغرات ، فيجفل وينسحب الى صناديق الصيدليات ، والأطباء !..

لن تلومني على إصراري لو علمت ان اخي المقعد ، المشوّه الوجه واليد ، يقبع في زاويته كالليلة الكدراء الطويلة ، في انتظار لحظة واحدة من العمر ، هي آخر ما يحظ القدر في صفحة وجوده !.. اما امي ، فثق اني رغم حنانها الماضي ، ورغم ما حبتني به من حب ، لا احتمل ان احدق ثانية واحدة في كتلتها المضطربة على فراش القش ، القش الأجرد . وانت رغم المشاعر الانسانية المختلجة في صدرك ، لو رأيتها ، لحولت وجهك عنها ، ولبصقت من الغثيان ، كما تفعل لو رأيت فأراً مسحوقاً الى قدر ، تحت نعل عن غير عمد . لن اصفها لك لئلا تكره ان تتم نجواي او شكواي لا ادري !.. واما اختي فهي رهينة البيت حتى تموت ، او اموت أنا ، وحينئذ لها ان تطلق لنفسها الحرية . لا تظلمني وتنعتني بالقسوة او الاجرام .. انا اخجل ان احدثك بحديثها . ليست مريضة ، ولا مشوهة ، ولكنها اجمل من كل من رأيتهن في حياتك . سل عن لمياء .. لمياء التي اختطفها الصهيونيون ، او التي أسروها او قتلوها .. فهنالك شائعات كثيرة عن اختفائها ، ولكنها على كل حال ، هنا في كوخنا الهزيل ، الذي سرقت حطبه في الليل من الغابة القريبة . والى اين تخرج بربك ؟.. ألتقص على الناس قصة عارها ، وعارهم ايضاً ؟. ألتستدر الشفقة ، وهي رغم جمالها لن تجد الانسان الذي يحتضن هذا العار ويستره ، بل ستجد دائماً الحادعين الذين سيندفعون لتدنيسها كما دنسها الصهيونيون ؟

قد تسألني : لم لا ألجأ لوكالة الغوث ؟ انا يا اخي لم ألجأ لأحد منذ هجرتنا من ارضنا ، بعد ان خرج اخي من المعركة مشوهاً ، وسقط البيت على امي فشلت وتغيرت معالمها ، وفقدت اختي عفافها ، وسلموني عكازاً استعيض به عن رجلي المقطوعة ! .. قيل : كل ذي عاهة جبار .. وقد كنت جباراً الى حد ، فلم ألجأ لوكالة الغوث لتعيننا ببعض الملبس والمأكل . فكيف اقبل ممن ساهموا بمأساتنا المعونة ؟ ان كل ما يأتي منهم رجس ودنس ، وكل يد تمد ، لا تمد الا لتعوق شعورنا بالمأساة وبالحاجة للخلاص القريب . اخاف ان تقول لي : «إلجأ للحكومات العربية» .. لا تهزأ مني ومنك ومن كل عربي .. لا تلفظ هذه الكلمات .. لأنها جرح طويل المدى يحز في اكبادنا .. فلو كان فيها خير لاستطعت ان تقول لي : إلجأ الى الحكومة العربية ، اولكنت في غنى عن مثل هذا القول ، ولكنا جميعاً في غنى عن مأساتنا ! لا تهزأ مرة اخرى فتقول : « ولكن الحاكمين تبدلوا ! ». لم

يتبدلوا يا اخي !

لقد ادركت اخيراً ، ان لا ملجأ إلا الشعب .. انا الذي شُوه اخوه ، انت الذي فقدت اخاك ، هي التي سلبت اعز ما تملك ، ونحن جميعاً الذين فقدنا فلسطين واسكندرون ، وبلادنا ، لن اخدعك ولن تخدعني بالاستقلال الزائف الذي تتبجح به بعض حكوماتنا ، فالاستعمار يغل اعناقنا ، ويلتهم مواردنا ، ويقودنا مرغمين الى مآسينا ، تسانده حفنة خونة مستثمرة ، اذا حلت محلها حفنة اخرى لعنت اختها .

لقد ادركت اخيراً ... ولا بأس ، فالمجال متسع امامنا ، والأمة التي لم تحيَ المآسي لا تعرف معنى الحرية ، ولا يمكن ان تعرف طريق الخلاص ! لقد ادركت ، وانا اليوم عضو في حركة شعبية ، تتسع رغم الاضطهـــاد والتشريد ، وستشمل الوطن العربي كله ، لأنها منبثقة عن حاجات الأمة العربية في كل جزء منها ، وفي كل مرقد عنزة . وستنصبّ فيها كل ثورة الشعب وحقده وحرمانه وإيمانه بنفسه وحريته وامته .

المكتبة العصرية ـ بغداد

تأسست عام ١٩١٤

ـ اشهر وأقدم مكتبة في العراق ـ

لصاحبها محمود حلمي

★

فيها احدث الكتب وأشهر المجلات

ولها وكلاء في ألوية العراق وسائر البلاد العربية

☎ ٦٤٨٠

لعله يتبادر الى ذهنك انني اشتريت المجلة من مالي الخاص . انا يا اخي لا اكاد املك ثمناً لطعامي ، وداء اخي وامي اشبه بداء هذه الامة ، أداويه بما يسكّنه ويطيل امده ، لا قصوراً ولا جحوداً ، وإنما قلة امكان تزيـــد من عذاب نفسي . نحن نشتريها ونشتري غيرها من مال الحركة . وإنها لمأساة يا اخي ان تكون اكثر مجلاتنا وصحفنا مجرمة عن عمـد وغير عمد . تمنينا كثيراً ان نجد واحدة بينها تعالج قضايا الشعب العربي بصدق وفهم ، هذا إذا لم نقل انها تساهم في توطيد دعائم الفساد وتسطيح مشكلتنا . والغريب ان اكبرها لا تكاد تقع عينك على اسطر منها حتى تشم رائحة الدولار ، او النظريات المستمدة من غير واقعنا ، وكل حل لا يأتي من واقعنا لا يمكن إلا ان يبعـدنا عن إدراك هذا الواقع . وأغرب من كل شيء ان بعض الاقلام البريئة والقوية ايضاً ، تناقش مشكلتنا بسطحية غريبة ، ذلك انها تبحث من ناحية نظرية ، ولم تعرف نضـال الشعب يوماً ، هذا النضال الذي يستطيع وحده ان يطلعنا على الواقع .

اني اتشبث بالجائزة يا اخي ، لا لأنعم بمالها ، ولكن لأقدمه للحركة ، فهي بحاجة اليه ، لأنها لا تعتمد على أجنبي ؛ ولا على نفوذ ثري ، وهـــذا المورد الذي أطرقه مورد حـــلال لا دنس فيه .

لعلك تريد ان تتعرف إلي ! ... كنت كاتباً وشاعراً ، ولكني وهبت كل امكانياتي للنضال الشعبي ، ولولا رفاقي لما ولجت باب الكتابة من جديد . وعلى أي حال انا عربي مشرد ولا غرابة فكل عربي مشرد ، ولا يهمنك ان لك بيتاً وعائلة ، فالطريق التي جعلتني كما ترى ، ما تزال موجودة وقادرة على ان تصنع منك شخصاً مثلي .

قد تتساءل : لماذا لا اقـدم المال لعائلتي المنكوبة فيما لو ربحت ؟ لن ينقذهم هذا المال ، ولن يزيد إلا في تطويل عذابهم ، ولكنه لا شك سيساعد على استمرار الحركة ، لان عملها طويل وشاق ، لكنه منتصر آخر الامر .

من تشويه اخي ، وعار اختي ، وموت امي وهي على قيد الحياة ، درب فسيح اطلع منه على الحلول الصحيحة .

فكلما عدت لكوخنا الأجرد ، برجلي الوحيدة ، لأرى كتلتين من لحم ، احداهما صامتة الى الأبـد ، والثانية تنتفض

مولد

« ايها العبيد ، انهضوا ،
إنهم لا يبدون امامكم عظماء ،
إلا لأنكم راكعون ! »

[توسان]

عيني مفتّحةٌ على الشرق الجديد
متفتحاً ، كالبرعم النّديان ، كالأمل الوليد .

★

عيني ترفُّ ، على جمالٍ ، شقَّ أسْوِدةَ الظلام
وعلى جباهٍ ، كالطفولة ، نابضاتٍ بالسلام ،
تحتلُّ نفسي كالضياء ؛
فأسير جذلان الخُطى ، أحيا على دفء النداء .

★

وُلدت ، على عيني ، الحقيقةُ ، فانتشت نفسي الحزينة ؛
وهببتُ ، منطلقاً ، أصفّق ، بين اضواء المدينة ،
وأصكُّ اعداء الحياة ،
اعداء تاريخي العظيم ، وأمتي ، والعاملين ،
العاملين الكادحين ،
السافحين دمَ البطولة ، في سبيل الآخرين ،
بل في سبيل القادمين ،
مع العصور ، مع السنين ...

★

اطفالنا السعداء ، في غدهم ، يرودون المدينة
نفساً مجنحةً ، تصفّق ، في دُجى نفسي الحزينة .

★

عيني مفتحةٌ ، على وردٍ جديد ،
وعلى رفيفٍ ، كالصلاة ، يموج في الشرق الوليد ..
فأمدُّ كف الحب ، تستعطي ، ويا طيب العطاء ،
يا طيبه ، كالخبز ابيض ، كالورود ،
وكصوت موسيقى ، تسيل مع الصباح ،
ومع الشروق ، مع الضياء .

★

وأنا ، وإخواني ، ملايين العيون
نبكي ، ونضحك ، لا نزال
طرباً ، الى شمس الحقيقة ، والسعادة ، والسلام
وُلدت على عين الصباح
تنتابُ نافذتي ، وصدري ، والجراح ؛
وتفتحتْ ، كالبرعم النديان ، في فجر الحياة ..
وأنا ، وإخواني ، هنا ، وهناك نضحك للحياة وللسلام
وَلَدته معركة الحياة
فشبَّ ، يحتضن الحياة ..

حمص

نصوح فاخوري

انتفاض المقرور ، ولأرى جبين اختي ينخفض انكساراً وذلاً ، ادركت عمق المهمة الملقاة على كاهلي ، وقارنت بين هذه الخلائق التي اصابتها النكبة في الصميم ، وبين تلك الاصنام المرفوعة على الكراسي ، فخرجت بنتيجة واحدة وهي الايمان العميق بالنضال العربي الشعبي .

اما مصيري ، فأنا اعرف خاتمة قصتي . نضالنا يحتاج الى تضحيات ، ولن اكتفي بان قدمت رجلي واخي وامي واختي فداء ، بل ان في رأسي عقلاً ما يزال يعمل ، وسيظل يعمل حتى اقدم الرمق الاخير . وقد تكون الطعنة من اخ لي في العروبة ، من جندي يأتمر بأمر ديكتاتور ، او شرطي يدفعه لقتلي خادم للمستعمر ، وقد تكون من يد عدو . ولكني راض بالمصير على اي حال . واذا مُدّ لي في عمري حتى تتحقق اهدافنا ، فسأساهم في البناء ، بناء امتنا الطالعة ! انا لا يهمني مصيري ، بل ما تصير اليه امتي . وبموتي تكتب لها الحياة .

وبعد ، هل ترضى معي ان يكون هذا مصيرك ؟ هل انت مستعد لبعث امتك ؟ اذا كان ذلك فمعنى هذا انك ستحيا قصتي وقصة كل عربي ، وتشاركني في الخاتمة .

انعام الجندي